جامعة 8 ماي1945
- قالمة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الفلسفة والدراسات الانسانية والاجتماعية
ومشكلات الاعلام الاتصال
مخبر
قسم الفلسفة
الملتقى الدولي الموسوم بـ:
فلسفة الكوني وخصوصية الثقافة
يومي 21 / 22 ابريل 2019

استمـــارة مشاركة

الاسم: وفاء ، **اللقب :** برتيمة
البلد : الجزائر ،**الوظيفة:** دكتورة ، أستاذ محاضر -أ- **المؤسسة:** جامعة باتنة1الحاج لخضر ، قسم الفلسفة
البريد الالكتروني: wbertima@yahoo.com
رقم الهاتف: 07 93 28 16 26 / 06 97 98 82 34

رقم المحور رقم(01): فلسفة الكوني المفهوم والنشأة

عنوان المداخلة: سؤال العالمية المعولمة و أفق الكونية القيمية بين جدل الرحابة والتضايق في السياق المعرفي والفلسفي (دراسة تحليلية نقدية).

أهداف الموضوع:

***/رصد ملامح الحضور المتداخل بين المفاهيم بين التلاحم والصراع في تنائيات معرفية متقابلة**
****/الكشف عن طبيعة العلاقة بين الخصوصي والتنوع الثقافي والعالمية المعولمة والعالمية الكونية ؟**
*****/توطين التفاعل الانساني المشترك بين الخصوصيات و قيمة مرجعياته الكونية .**
******/ اعادة بعث مفهوم الكوني بمعزل عن العالمي المعولم .**

ملخص المداخلة :

شكلت فلسفة الكوني تصدع في مواقف الخطابات المعاصرة وهذا يعزى لفائض الهويات المتراكمة وتصاعد مدى الثقافة الأحادية التي مجدت المزكزية الغربية وألهت التقنية والتكنولوجيا حيث اختزلت الكوني لصالحها النمطي المعولم.

الكلمات المفتاحية : خصوصي ، كوني ، معولم ، تقنية ...الخ.

Summary of the intervention: The philosophy of cosmic fragmentation in the positions of contemporary discourse and this is due to the surplus of the accumulated identities and the escalation of the extent of the monolithic culture, which epitomized the Western Mzkzip and distracted technology and technology, which reduced the cosmopolitan in favor of the typical globalized.
Keywords: private, cosmic, global, technical ... etc

***هيكلة المداخلة**

1/بسط استشكالي للموضوع:

يبدو ا أن الانصهار المعاصر بين الثقافات قد بدد الفواصل الحضارية القاسمة لخصوصية الهويات البشرية هذه الاخيرة التي سقطت في العدمية التاريخية ولم يبقى منها إلا الهوية الكونية للأصل العاقل وهي الإنسانية كما وردت في المنظمات المقدسة التي قدمتها في سياقات -**ما يجب أن يكون** والتي غيبتها طقوس الحداثة في وجهها العالمي المادي ، غير أن الفلسفات المعاصرة تراهن وتقامر على تسييج الكوني في مقابل تحرير العالمية من مقصدها العالمي الاتيقي إلى ابعادها المعولمة في سياقها التقني المهيمن على اعتبار أن الأول جملة مبادئ انسانية صرفة تصب في في مبحث القيم والمرجعيات المقدسة في حين الثانية تتموقع في العولمة ومركزية العلم والتقنية في عصر يشهد تغول فاحش لتأليه العلم الوضعي والتقنية والتكنولوجيا السبب الذي افرغ الانسان من وطنيته الطبيعية و المكتسبة محليا وإقليما و قوميا وعالميا بفعل أمواج غربية متتالية انطلاقا من صدمة التنوير فالحداثة والتحديث والعولمة والعلمانية في سياقها المركزي الذي أباد الخصوصيات الثقافية ولو كان بشكل نسبي في بعض الجغرافيات والثقافات فأصبح الإنسان فاقد لطابع هويته الثافية وفي حالة ذوبان في الاخر بحكم معايير مادية حكمت عليه بمصير المستهلك مسلوب الهوية ليدخل مستقبل الإنسان في حائط بكائي منزوع القيم وهذا يعزى لخمس عقود تسارعت فيها الألية والتقنية و العلم و التكنولوجيا بمختلف وسائلها وضروبها حتى اصبح انسان العالم المعاصر في صراع المحور والهامش بفعل الكوكبة وتداعياتها العالمية .

لقد ولدت الحداثة الغربية شرخ في هوية الإنسان الكونية مخالفة لمبدأ ما يجب أن يكون عليه الإنسان، وذلك بتعريتها له من كل المقومات القيمية و إعدامها لمرجعية المقدس و الموروث في شقه الايجابي مما خلق هوة أخلاقية عميقة في كيان الإنسان الحداثي مسؤولة عن اغترابه و تشيئه، وعن القطيعة المطلقة بين عالم الإله وعالم الأنسنة والتباعد بين أهداف العيش المشترك،إذا أصبح العيش ملغم وفاسد، وذلك بالهجرة من عالم الإلزام الأخلاقي إلى توطين الإلزام اللاأخلاقي من خلال محور السوق، الجنس، الإعلام، مما أوجب إعادة بعثها من جديد من خلال حقنها بقيم الإنسانية الكونية، إذ تندرج إشكالية الأخلاق في الحضارة الغربية المعاصرة ضمن مبحث القيم الذي يراعي ما يجب أن يكون عليه الفعل الأخلاقي من قيمة إيجابية تمتد لعالم الفضيلة أو الخير الأعظم لكن الاختلاف بين أطياف المفكرين والعلماء في تحديد مصدر الأخلاق وطبيعتها وغاياتها، جعل الكثير يتجاوزها كواجب كونها رمز للضعف ويستغلها كوسيلة لغايات غير مشروعة مما أوقع العالم في قبضة الحوسلة التقنية ، ولعل إلغاء الأبعاد الأخلاقية من أبجديات التعامل والخاطب وفعل الممارسة الغربي إزاء الآخر يكشف النزعة العدوانية للغرب في الطغيان وسلب هوية الأخر، تنامي ظاهرة ارتفاع معدلات التشيؤ و حوسلة الإنسان إلى قيم كمية ثابتة في سياقات حداثية تقدم التقدم التكنولوجي وتبني العلم المنفصلين عن القيمة الفردية والجماعية ذريعة لتحرر من أوهام السلطة المتعالية، ودليل نحو تأسيس خطاب أحادي المرجعية يلغي الثنائيات المتقابلة بين ثلاثية متداخلة سببيا وغائيا؛ **<u>انطولوجيا الوجود الإلهي والجواني والوضعاني</u>**، مما حتم على الإنسان لاسيما الغربي الدخول في أزمة هوية أخلاقية لما أفرزته إرهاصات عصور النهضة والتنوير والحداثة والعولمة وصولا إلى المتتالية المتحققة في إعدام القيم والمقدس والتي جسدتها العلمانية الابن المدلل للحداثة المادية والسلبية -على حد تعبير الكثير من النقاد المعاصرين والغاية المنشودة للعولمة - فالهوة بين ما كان سائد في الحضارات القديمة والحضارة الغربية المعاصرة هي فجوة قيمية ومعيارية تحيزت للمادي المطلق وألغت كل اعتبار للمقدس والثابت إذا أصبحت المعادلة بين ما يجب أن يكون وما هو كائن متعامدة وظيفيا وأصبح الإنسان يعرف ببعده الوظيفي الآلي لا الجوهري الغائي وفق مسلمات التفسير الدار وبني الطبيعي والمادي ومزاعم البراغماتية و إرادة **"نيتشه"** الثورية ضد سلطان القيم ومنطق النصّ ؛

لتهرول الحضارة الغربية نحو أخلاق السوق والمعاملات الرقمية، نابذة لكل المقاييس الإنسانية والثاقفية مكرسة مختلف الوسائل لتحقيق أهداف العنصرية العرقية والسمو المركزي الحداثي والمعرفي في طابعه المادي المطلق ،فجردت الإنسان من امتيازاته الخاصة وتعاملت معه كالتعامل مع الحيوان أو الجماد ؛فهي منذ نشأتها في القرن **(15م)** قامت على أساس مادي لا يعترف بأي حقيقة خارج نطاق المادة مستنبطة أفكارها و أنماط سلوكها من الحياة الرومانية الوثنية، مما يكشف عن معاداة حق الأنسنة و فضائل التعايش المشترك بين مختلف الأجناس في هذه الحضارة التي أجهضت قيمتها بإعدام الإله والإنسان معا في مقابل السيطرة والتفوق المادي البيولوجي والاقتصادي والتعصب والفردية النفعية، ومن اجل تقويض مظاهر التصدع الأخلاقي في الحضارة الغربية بإعادة الاعتبار للقيم الكونية وضمان أفقية التعايش بين مختلف الخصوصيات والثقافات .

يعد كل تنصيص على الاختلاف هو حديث عن الهوية وحدودها اللامتناهية كما أن الحديث عن الكوني هو الحديث عن القيم المطلقة كالخير والحب والفضائل في حين العالمية هي صفة تتوقف على مدى شيوع وتداول وتناقل الحضارات لتلك القيم والمعطيات حيث تقف العولمة موقف وظيفي اذا تستغل كل الظروف لإختزاله في نمط معين دون مراعاة لحيثياتها الجوهرية وامام الانفتاح الثقافي تعرف الهويات خطر الاندثار ـأو الموت يقول " جان **بودريار**": «**الواقع أن الكوني يهلك بالعولمة وعولمة التبادلات تضع نهاية لكونية القيم**»(1).

من هذه المفارقات تتمخض جملة **تساؤلات محورية** : كيف **نحافظ على التعايش بين الخصوصيات وهل تتماشى الخصوصية مع القيم الكونية ؟ وكيف لهذا الأخير أن يحافظ على طابعه القيمي دون التميع والدمج في عالمية معولمة تهدد وجوده الإتيقي ؟**

أو بعبارة أخرى **: هل يمكن الحديث عن إمكانية تأسيس خصوصيات ثقافية خارج نطاق المرجعيات الكونية المطلقة ؟**

ا/ سؤال العقل و التاريخ في رصد وضبط المفاهيم :

تتداخل وتتواصل الكونية والعالمية باعتبارها مصطلحات معرفية وفلسفية وعلمية متقابلة تترادف في مواطن وتتضاد في حيثيات جوهرية ليست بالضرورة خلافية وهذا ما يشكل الهوية المركبة في المشروع الكوني الانساني المشترك يقول **"ادغار موران"** في كتابه سياسة حضارة :«**أن العقول العاجزة عن تصور وحدة الكثرة وكثرة الواحد لا تقدر على رفع من شان الوحدة التي تولد التجانس أو الرفع من شأن الكثرة التي تنغلق على نفسها ، غير أن الامر المزوج**

والمركب يلزمنا بالمحافظة على تنوع الثقافات وتطوير الوحدة الثقافية للانسانية »[2]؛ هذا مؤشر دعوة لتنمية وتطوير الهوية الثقافية المشتركة بين الإنسانية **"فموران "**يسطر لهوية انسانية مركبة تتنامى وتتكامل بيما بينها من اجل التعايش لا الاختزال والإقصاء ولو أن هذا الاخير واقع ألت إليها الانسانية بفعل التقنية ومنجزات الحداثة والعولمة .

في حين نجد "جان بودريار "يقول : «**كل ثقافة تعمم تفقد خصوصيتها وتموت** »[3] ؛ مايفهم من موقق بودريار هو أن ا لحداثة التقنية والعولمة تهدف إلى ازاحة كل خصوصية ذاتية وتهدف إلى فرض ثقافة معينة وهي الثقافة المتفوقة مادي في مقابل انهيار سلم القيم والمرجعيات لصالح البراغماتي والمادي والوضعي والاستهلاكي والمركزي والعرقي المتفوق وهذا يبرر:«**أن الثقافة الكونية الجديدة التي أصبحت مبدأ من مبادئ النظام العالمي الجديد في زمن العولمة** »[4].

إنّ طرح اثارة علاقة الخصوصيّة بالكونيّة يُمكن تشريحها إلى وجهان مختلفان يتمحور الأول في التسليم بالخصوصيّة التي تتماشى مع كل هدف كونيّ إنسانيّ وهذ ما تقر به قيم وفلسفات التعايش بين الخصوصيات على اختلاف أجناس و أنواع وجغرافيات المواطنة النسبية أو المطلقة في شكلها العالمي الانساني .

تفيد الخصوصيّة معنى :« **التفرّد و التميّز وهي جملة الصّفات و الخصائص الماديّة و المعنويّة التي تخصّ مجموعة بشريّة لتكون عنوان اختلافها و تميّزها عن بقيّة الخصوصيّات»**[5]

في حين **الكونيّة** تدل على :« **ما هو مشترك إنسانيّ وهو مطلب فلسفي و إنساني، يحيل على مجموع القيم و المبادئ كالعدالة و حقوق الإنسان و الحرّية. لذلك عُدَّ الكوني الفضاء أو الأفق المشترك الذي يحمل الصّفات أو الخصائص المشتركة التي تُوحّد البشر رغم تنوّع و اختلاف خصوصيّاتهم»**[5]، بين المفهوم الاول والثانية جدلية احتواء وجودي بالضرروة تفرض حتمية الاقرار بالخصوصية التي تعبر عن هوية ثقافية جزئية من وحدة كلية مركبة كونية تحوي كم وكيف ثقافي مختلف ومتعايش انطولوجيا واكسولوجيا وابستمولوجيا على مستقبل واحد دون رهان الصراع المركزي والتعصب لأسطورة التفوق التكنولوجي والعرقي ممّا يوطن نزعة إنسانيّة كونيّة تسن رحابة الخصوصيات بأفق كوسموبوليتيكي ينبذ الانغلاق و التحيز للمادي والتعصب بشتئ ضروبه.

الحديث اليوم عن العالمية والكونية يمزج بين صراع الرحابة والتضييق أو جدل الحياة والموت فالعاليمة المتفاقمة في شكلها المعولم انجبت نوع من الخصوصية يحول اختزال كل الخصوصيات في ذاتويته بالالغاء او الاقصاء او العدمية وفي هذا انتحار كوني على تعبير "غارودي " لأن حضارة التقنية أي الغرب أدخل العالم برمته أزمة مصير انسانوي بل كوني يهدد الجنس الحي بأسره و يطمس مقوماته المرجعية.

صار من الواضح ان العولمة انعرجت إلى ايديولوجيا منغلقة وليس مشروع كوني منفتح فهي كرست هاجس المركزية وتفوق الثقافي وعبء الرجل الأبيض على غيره وهذا يعبر عنه **"صموئيل هنتجنتون" قائلا :« مفهوم الحضارة**

العالمية انتاج مميز للحضارة الغربية في القرن التاسع عشركانت فكرة عبء الرجل الابيض تساعد على تبرير بسط السيطرة الغربية السياسية والاقتصادية على المجتمعات الغير غربية »[6].

الحداثة ملازمة للعولمة والعلمانية وأساس لهما و هما متتاليات كرست مشروع زوال الهويات بذوبان الخصوصيات وفرض التنوع الثقافي بحجة التطور لكن اذا كان" تايلور" يعرف الثقافة بأنها :«الكل المركب الذي يتضمن المعرفة والإيمان والفن والقانون والأخلاق والعرف وجميع القدرات الاخرى للإنسان من حيث هو عضو في المجتمع»[7]

إن التجدر في ثقافتنا يفصح عن أنواع من الثقافة بين الممنطقة وبين ثقافات لا علاقة لها بالعقل والمنطق هذه الاخيرة متصدعة قيمي تؤذي بالضرورة إلى تضاؤل التصور الكوني للحضارة الانسانية فينتج عنه اانغلاق الثقافات على نفسها وتأجج معاداة الثقافات لبعضها البعض مما يحول دون تعايشها معا وفق ماتقتضيه الأخلاق الكونية .

ب/ <u>بين المقصد العالمي المعولم والكوني القيمي</u> :

الأرجح أن تناشد العالمية كل ماهو ديناميكي يعزز اواصر التلاحم بين الهويات المختلفة بحجة تبرر نفسها طبعيا أن الاختلاف دين الطبيعة والتعاطي معه حكمة و فضيلة يرى **"بودريار"**أنه يوجد: «**بين لفظتي العالمي والكوني تشابه خادع ،إن الكونية هي كونية حقوق الإنسان والحريات والثقافة والديمقراطية أما العولمة فهي عولمة التقنيات والسوق والسياحة والاعلام ، تبدو العولمة ذات اتجاه لا محيد عنه في حين أن الكوني في طريقه إلى التلاشي على الأقل على النحو الذي تكون من خلال نظام قيم على صعيد الحداثة الغربية لا نظير له في أي ثقافة أخرى»[8].**

هدف العالمية المعولمة هو التنميط والاختزال والتشيؤ و الهيمنة "فجيرار ليكلار" يرى أن العولمة : « من حيث الأصل تعتبرحداثة أوربية بإمتياز وهي عالمية من حيث انتشارها من خلال التغريب وهي كونية من حيث الطموحات لتكتسب شرعية لا مشروطة عابرة للتاريخ وعابرة للثقافة والى جانب العلم والتقنية نجد اليوم الايديولوجيات والعقائد قد باتت وفي اطار العالمية الجديدة تسير نحو نوع من الكونية حتى لو كانتا وخلافا للعلم وعرضة للمعارضات الصدامية» [9].

العالمية المعولمة خلقت تشظي في الهويات الانسانية على اعتبار أن الهوية معطى ومكسب خاص يشكل مناعة ضد هي عليه أو يجب أن تكون عليه الهويات لا ما الغزو المعولم ومركزية الثقافة الواحدة وعليه أصبح النقد يتحر ك نحو ما كانت عليه المدخل الذي جعل خطابات الهوية اذا سلمنا بأنها مركب ثابت وبين التنوع الثقافي والعالمية خطابات ما شائكة ومؤد لجة تحولت فيها القيم إلى يوتوبيات حيث شبه بنيامين باربر العولمة ب:{...**الثعبان الذي سيقوم بابتلاع**

جميع الأرانب}[10]، هذا يكشف عن خلفيات البعد العالمي المعولم في شقه السلبي السالب للحقوق العالمية الكونية لحياة الإنسان .

شهدت مرحلة الحداثة التقنية التي أخذت شعار العولمة دين العلم وتقواه:« **حروب عالمية غربية، وأخرى صغيرة كآسيا وأفريقي»**[11] مثلا، حيث بدأت تظهر ملامح تحويل العالم إلى وحدات متجانسة ليس لها أي خصوصية، من خلال)، حيث ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية **Universul** أو **Globul**ما سمي بالعولمة والتي تعني بالانجليزية ( ) الفرنسية التي تعني أيضا **mondialisation**لأول مرة بمعنى تعميم الشيء ليشمل الكل، وقد ترجم المصطلح إلى (جعل الشيء على مستوى عالمي، الأمر الذي أدى إلى ظهور نظام عالمي جديد تراجع فيه الغرب من نمط الإستعمار التقليدي إلى الإستعمار الجديد، المتمثل في الحرب الباردة فتحول الإكتساح العسكري المباشر إلى آخر غير مباشر وأكثر مراوغة يؤكد –**"محمد عابد الجابري"**- أن: «**العولمة تتضمن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الإقتصادي**»[12]، بمعنى أن العولمة تسعى لجعل العالم قرية صغيرة موحدة فالعولمة الآن هي نظام عالمي يوحد بين الإقتصاد والسياسة والإيديولوجية، وهذا في حقيقة الأمر ما تدعو إليه السياسة الأمريكية من عولمة شمولية، **"فالمسيري"** يؤكد أن: «**العولمة شكلا من أشكال الإستعمار الغير مباشر**»[13]، والذي يجعل العالم كلي غير متجانس لا تميزه أي خصوصية، فالعولمة حسب رأيه هي: «**التي تؤدي إلى ميلاد النظام العالي الجديد، الذي يعد امتداد لنظام العالمي القديم، وإعادة إنتاج للرؤية المعرفية، العلمانية الإمبريالية**» [14]، معنى أن الإنسان يتحول إلى مادة إستعمالية ذات بعد واحد، هو الدوافع المادية الإقتصادية أوالجنسية، فالنظام العالمي الجديد حسب **"المسيري"** هو تصعيد لعمليات تحويل العالم إلى مادة إستعمالية، ومحاولة صياغته بأسره حتى يصبح جزء من الآلة التي تستمر في الدوران إلى أن ترتطم بحائط كوني مثل الإيدز، ثقب الأزون، الإنفاق الباهض في التخلص من النفايات النووية والغير النووية[15]

نفهم الكوني الإيديولوجي كوني هيمنة، هيمنة تتخذ من الكوني أداة لتحقيق الهيمنة، ليتحرّك الكوني بذلك ضمن أفق العقل الأداتي، بدل العقل القيمي الشمولي المشترك يقول" **طه عبد الرحمان"** :«**أهل العولمة في علاقاتهم الاقتصادية ينفعون ولا يصلحون وينمون ولا يزكون ، اذا يشغلون بتنمية مواردهم ويهملون تنمية أخلاقيهم**[16].

الغريب في العالمية المعولمة أنها تنبذ الاختلاف والتعدد وتسعى لفرض نظام واحد يكون الكل فيه تابع ، فتعمق الفجوات بين مغلوب وغالب لذلك يشعر المغلوب دوما بواقع مأساوي تتجاذبة مجاديف التراث ومخالب الوعي الحداثي الزائف فإذا كان التراث هو : «**صورة الماضي بكامله والذي يمتد حتى يتصل بالحاضر فهو لا يمثل عصرا بذاته ولا مجتمعا**

بذاته ، انه نتاج تراكمي لأمة من الأمم على مر الزمان»[17] ، لا مفر من عالمية معولمة تفرغ الكونية من قيمها الانساني والمقدسة إلا بمجابهتها بالعودة للقيم والمرجعيات التي تضمن استمرار المبادئ الإنسانية وتحفظ بقاؤها .

اذا تتقابل العالمية والخصوصية والعولمة والكونية في سياق ثنائي يتسم بالصراع الدائم والتعايش النسبي في راهن مستقبل انسان معاصر مهدد بالتفكيك والإزاحة وإلغاء الهويات هذه الأخيرة التي تعرف بأنها :«وحدة الذات»[18]

وكونها مفهوم خلافي فهي اسم ليس عربيا، وللهوية عند القدامى عدة معاني وهي التشخيص، والشخص نفسه والوجود الخارجي قالوا:«**ما به الشيء هو هو، بإعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية**»[19]، والهوية عند بعضهم هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، لذلك قيل "عن الأحق باسم الهوية من كان وجود ذاته من نفسها، وهو المسمى بواجب الوجود"، والهوية تطلق على الشيء من جهة ما هو واحد، وتطلق على الشخص، وهي أيضا إحدى المبادئ المنطقية "مبدأ الهوية"، يقول "**غارودي**":« **تظن الحداثة أن العلم والتقنية هما المعايير الوحيدة للتقدم، يقودنا دين الوسائل هذه إلى الهاوية، حفاروا القبور هم هؤلاء الذين يروجون له، هكذا يحفرون بلا –تبصر- قبورنا** »[20]؛ فهي حضارة تروج العالمي والكوني كذرائع لبسط مركزيتها الجيواستراتجية .

ج/ <u>توطين فكرة العالمية الكونية في المرجعيات الدينية والفلسفية :</u>

<u>أولا العالمية في الديانات</u>

<u>أ/المسيحية:</u>

إن المبدأ الأساسي الذي تستند إليه العالمية المسيحية هو تعاليم السيد المسيح وهذا وفق ما جاء في العهد الجديد من الكتاب المقدس ليعمل بذلك رجال الكنيسة والفلاسفة المسيحيين على شرح هذه التعاليم ، حيث نجد أن فلسفتهم في أغلب الأحيان تدور حول وحدة العالم على أساس أن الخلاص الذي جاء به السيد المسيح إنما:« يشتمل الجنس البشري جميعه، ولا فرق في ذلك بين عبد وحر، أو بين يهودي أو أممي»[21]، وقد جاء في الإصحاح الرابع من رسائل القديس **"بولس"** ما يلي: «**إله وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم**"»[22]، كما ورد كذلك في الإصحاح الأول : «**لكنني أطلب إليكم أيها الإخوة، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تقولوا جميعكم قولا**

واحدا، ولا يكون بينكم انشقاقات، بل كونوا كاملين في فكر واحد ورأي واحد»[23]، وإذا تأملنا جيدا هذه الأقوال للقديس **"بولس"** نجد أنها تدعوا إلى الإتحاد بين كل أمم المعمورة، وتدعوهم إلى أن يكونوا على رأي واحد وفكر واحد، أو بعبارة أدق أن هذه الإصحاحات في جوهرها تدعوا إلى دمج العالم تحت حكومة عالمية واحدة ، ولعل هذا يظهر أيضا في الإصحاح **الخامس عشر** والذي نصه:«**سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا كُلَّ الأُمَمِ، حَمِّدُوهُ يَا كُلَّ الشُّعُوب»** [24]،دعوة تشمل الجنس البشري جميعه؛ واعتبار المسيحية ديانة عالمية لتشمل جميع الشعوب وكل الأمم، ويتضح هذا جليا لدى بعض فلاسفة الدين المسيحي وبالأخص القديس**" أوغسطين"** هذا الأخير الذي دعا إلى**: «إيجاد كومنولث مسيحي، والذي بين معالمه في كتابه "مدينة الله»**[25]، بل يمكن القول بأنه قد ظهرت عند كبار المسحيين بدء من**"أوغسطين"" Augustin"**، وانتهاء **"بتوما الاكويني""Tommaso d'Aquino"**، فكرة عامة ترى أن تطور الإنسانية :«**يجب أن يفضي إلى ملكوت المسيح، وهو تطورا يجب أن يستوعب العالم كله»** [26]، إلا أن ما يجب أن نتفق عليه هو أن فكرة العالمية في الفلسفة المسيحية تستند إلى تعاليم السيد المسيح، حسب ما ورد في رسائل القديس**" بولس"** والتي يرى فيها بأن المسيحية ديانة عالمية خاصة بكل شعوب العالم كما سبق الإشارة له.

ب/ <u>فكرة العالمية في الإسلام:</u>

لقد اتجه الإسلام منذ البداية اتجاها عالميا، فلا الجهوية كانت سبيلا في دعوته، ولا الخصوصية هدفه ، بل جاء على البشرية كافة فلم يقتصر على قوم دون آخر،ولا جنس دون سواه ، وإنما دعوة إله لعباده فلا فرق بين أبيض وأسود ، غني وفقير ولا بين وبين يقول تعالى **:«يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»**[27].

فلو قدر للوحدة أن تكون هي القاعدة والحقيقة للمدينة الإنسانية جمعاء، فالإسلام بلا شك هو «**أعظم مدنية عرفها العالم»**[28]، فقد وحد المنهج الذي يتناسب مع نظام الكون كله، والذي يقوم على الأسس التي أقام عليها الإسلام نظام حكمة في حدود فكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان، وهي أنه:«**نظر إلى وحدة الروح والجسد في الفرد، وإلى وحدة الماديات والمعنويات في الحياة ، وإلى وحدة الهدف بين الفرد والجماعة ،وإلى وحدة المصلحة بين الجماعات المختلفة، ووحدة الغاية في الشعوب الإنسانية، على اختلاف المصالح الفردية»** [29]، لأن الاختلاف لم يكن في يوم من الأيام مانعا من الوحدة الإنسانية الجامعة، بل إن هذا الاختلاف من سنن الله تعالى في خلقه يقول تعالى في هذا الصدد:«**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ وَالْأَرْضِ»**[30]، فالإسلام ثقافة أخذ وعطاء وتعامل الأنا مع الآخر، فأثر في الغير بالعقيدة، وتأثر بثقافة الآخر من خلال مظلة نظيفة تقوم أساسا على الإقناع والاختبار الحر، لأنه

من صفة الخطاب الإسلامي ولأن:«**الانغلاق من أقصر الطرق لذبول الذين يرفضون على حضارتهم أسوار الانغلاق**» [31].

ومن ثم فان هذا الاحتكاك الذي يدعو إليه الخطاب الإسلامي في لبه دعوة للعالمية، عالمية مستمدة من القرآن والسنة غير مرتبطة بالمكان والزمان، لأن صلاحية القرآن مطلقة، لا زمانية وامتداده لا يقيد بمكان، فهو مشروع شامل للعالم ، ليس هذا فحسب ، بل مشروعا للانسان العالمي لقوله تعالى : «**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقوني**» [32]

فالكونية:«**مرتبطة عضويا بكونية العقل وهو أسها الحقيقي، وبدونه تنعدم التواصلية بين الأفكار والبشر، ويبقى الاختلاف بدون معنى أو بالأحرى سيؤدي الاختلاف في حالة انعدام هذه التواصلية إلى الاستبداد ،والتناحر والحروب وسيفقد الإنسان رباطه مع الإنسانية**»[33]، وفي هذا نجد "**فتحي التريكي**" : «**يؤكد أن العقل يتحدد بكونيته، ووحدته ،وتحدد المعقولية باختلافها وتنوعها**»[34]، ولقد كان لهذه الدعوة التي جاء بها الإسلام أثر كبيرا على فلسفة المفكرين المسلمين ولعل هذا الأثر يتجلى بوضوح في فكرة المدينة الفاضلة عند "**الفارابي**"، فلو تأملنا فلسفته لوجدناها تنادي بإقامة إتحاد بين مختلف الشعوب، إتحاد يكون تحت رأسه شخص واحد هذا الشخص الذي:«**لا يرأسه إنسان آخر، وهو الإمام وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة وهو رئيس الأمة الفاضلة، ورئيس المعمورة من الأرض كلها**»[35]، والهدف الذي يتوخاه على **الفارابي** من مدينته هذه هو تحقيق السعادة والسعادة في رأيه ممكنة بالاجتماع الذي: «**يشتمل على جميع الأمم والأرض على اختلاف أجناسهم ونحلهم وطباعهم، هذا الاجتماع الذي يعتبر ضرورة تحتمها حاجة الشعوب بعضها إلى بعض، وأحسن دولة تنال بها السعادة هي الدولة الكبرى**»[36]، وفي هذا الرأي دعوة للعيش في إطار كونية تجمع بين جل شعوب العالم على قدم المساواة رغم فروقاتهم الجغرافية والمذهبية.

ثانيا/ <u>على مستوى المرجعية الفلسفية:</u>

أ- <u>العالمية عند الرواقية</u>- أنموذجا-:

لعل أول من فكر في الوحدة العالمية بمفهومها الشامل والواسع – إتفاق الكثير من المفكرين- هم الرواقيون من الفلاسفة القدامى ، حيث أنهم نظروا إلى العالم نظرة شاملة عميقة، بمعزل عن أي عامل من عوامل التشتت والتفرقة والتمييز، وبعبارة أدق نظرة مفادها أن جميع الناس والبشر ،ما هم إلا أسرة واحدة تتميز بالولاء للسيادة المطلقة المتمثلة في قدرة الله على توفير سعادة الحياة، والحياة السعيدة لعباده ، «**فمن أصل واحد ينحدرون وإلى مآل واحد يرجعون**»[3].

وهم في هذا الصدد يقولون :«**أن الله أب لجميع الناس ، فنحن جميعا إخوة ويجب علينا أن لا يقول أنني أثيني أو روماني، بل يجب علينا أن نقول أني مواطن في هذا العالم ، والعبيد مساوون مع غيرهم من الناس، لأننا أبناء الله جميعا**»، لم يكن الإنسان عند الرواقيين مواطنا لمدينة، أو دولة خاصة، وإنما وطنه هو العالم، فقد كان الرواقيون يطمحون

إلى تحقيق مجتمع يعيش فيه جميع الناس كأمة واحدة ، هذا المجتمع لا يكون فيه دستورا ولا قوانين وضعية، وإنما يسوده انسجام من الغريزة يكون نابعا من تواضع البشر، وعلى هذا فإن الوحدة العالمية عند الرواقية تستند في مصدرها:«**على وحدة الكوكب الذي نسكنه فيصبحون أسرة اجتماعية واحدة، قانونها العقل ودستورها الأخلاق، والقانون السائد – الطبيعي – يعمل على جمع شمل جميع الناس في مدينة العالم، وكل فرد من أفراد هذه المدينة يتمتع بلقب " مواطن العالم "، وهذه دعوة صريحة إلى إطراح اللذائذ ومجاهدة النفس ،ضمن حركة أقل ما يقال عنها أخلاقية**»[37]، وهي في نفس الوقت دعوة تدحض العصبية التي كانت مفادها أن الجنس اليوناني من أعرق الأجناس، فخطوا في هذا السبيل خطوة جديدة، بحيث أنهم أحلوا الإنسان محل المواطن وبصيغة أخرى أنهم مالوا إلى اعتبار الإنسانية:«**أسرة واحدة أعضاءها أفراد البشرية، أي كانت حلتهم وبشرتهم**»[38].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل فكرة العالمية ناتجة عن نضج فلسفي أم أنها نابعة من اعتقاد كان سائد في تلك الفترة ؟

لقد نادى الرواقيون بفكرة الجامعة الإنسانية منذ العصر القديم، هذه الأخيرة التي تقول بوجود رابطة أخلاقية تربط بين الآلهة والإنسان، ذلك أن أهل الرواق كان يعتقدون أن روح الإنسان لا تختلف في جوهرها عن عقل الكون، وكل الآلهة والإنسان جزء لا يتجزأ من هذا العقل الكوني، ولا وجود لهما في عزلة عنه، كما أن الإنسان وبما أنه مخلوقا قد أمرته الطبيعة إلى الاجتماع، لذلك وجب على الجميع أن يكون ككتلة واحدة يؤلفون فيما بينهم ما يسمى بمملكة العقل وهو أعدل الأشياء توزعا بين البشر ،كما أنهم مهيئون للفضيلة ومنه فالدولة المثالية واسعة الأطراف يقول "**شيشرون**""Cicéron"في هذا الصدد: «**فقررت مبدأ الانسجام بين الله والإنسان، والجماعة لوحدة الجنس البشري، ومبدأ للجماعة البشرية**»[39]، ومن خلال كل هذا نفهم أن العالمية عن الرواقية وحدة معنوية تجمع بين الآلهة والبشر، فتصبح بذلك الكرة الأرضية وطنا للبشرية جمعاء.

ما يفهم أن العالمية ارتبطت بالأرض والإنسانية فهي تفترض قبول الآخر والتفاعل والحوار معه، دونما هيمنة أو رغبة في الإذلال والسيطرة – كما يظهر في العالمية التي يدعو إليها الإسلام :«**فالعالمية إثراء للخصوصيات الثقافية والتمايزات الحضارية** »[40] أي تقتضي الاختلاف والكثرة والتنوع والتعايش دون التحامل على الأخر : «**العالمية تخص قيم حقوق الإنسان والحريات والثقافة و الديمقراطية**»[41]، مما يعني أنها مشروع كوني إنساني مشترك يجمع كافة الشعوب وفقا لسلم الحقوق والواجبات .

خاتمة : انفراج نسبي لعقدة البحث : مماسبق تحليله نستشف أن الحقل الفلسفي يعج بفوضى المفاهيم التي تتخذ في صراعها شكل ثنائيات متجادلة لا يفصل في ماهيتها إلا الواقع المعاش باعتباره مخبر الخصوصي والثقافي

والعالمي والكوني وبين هذه المفارقات المركبة يجب استشراف مستقبل انساني مؤسس على قيم التبادل والتواصل الاتيقي الكوني بعيدا عن عالمية معولمة براغماتيا تختزل انسانيته وقيمه في بعد أحادي مادي .

قائمة المراجع المعتمدة في البحث

(1)جان بودريار، (**السلطة الجهنمية**)، ترجمة بدر الدين عرودكي،**مجلة الفكر العربي المعاصر،** تحت عنون العنف العالمي عدد 2،134،ص42

2/e.morin **,un politique de civilization**,ed erlea,1997,p188

(3) جان بودريار، (**السلطة الجهنمية**)، ترجمة بدر الدين عرودكي،**مجلة الفكر العربي المعاصر،** تحت عنون العنف العالمي عدد 2006،134

(4)الكتاب التونسي

(5)

(6) صمويل هنتنتجون ، **صدام الحضارات** ،ترجمة طلعت الشايب، (دط؛ القاهرة : شركة سطوري المعادي ،دس)،ص203.

(7)e.btylor,**the origins of culture,part of aprimitive culture**,harper torch books,new york, 1958,p2.

(8)جان بودريار ، **السلطة الجهنمية** ، مرجع سبق ذكره ،ص 42.

(9)جيرار ليكليراك ، **العولمة الثقافية (الحضارات على المحك)**، ترجمة جورج كتورة ،(ط1؛طرابلس :دن،2000)،ص 484.

(10) نقلا عن محمد مراد ، **ظاهرة العولمة –رؤية نقدية** –(ط1،ع86؛ قطر:سلسلة كتاب الأمة ،2002)،ص60.

(12)عبد الوهاب المسيري، **دراسات معرفية في الحداثة الغربية**، مصدر سابق، ص 285.
(13)محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، (ط2؛ لبنان : مركز دراسات للوحدة العربية ببيروت. 2003ص136.
(14)عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق نفسه، ص 111.
(15) عبد الوهاب المسيري، **دراسات معرفية في الحداثة الغربية**، مصدر سابق، ص 111.
(16) عبد الوهاب المسيري، **المادية وتفكيك الإنسان**، مصدر سابق، ص 113.
(17)طه عبد الرحمان **روح الحداثة –المدخل إلى تأسيس الحداثة** –(ط1؛ المغرب :المركز الثقافي العربي ،2006)،ص88.

(18) سيد سيد عبد الرزاق ، **المنهج الاسلامي في النقد الأدبي** ،(ط1؛ بيروت :- دار الفكر المعاصر،2002)،ص31.

(19) معجم

(20)كميل الحاج، **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، مرجع سابق، ص51.

(21)روجيه غارودي ، **حفارو القبور-الحضارة التي تحفر للانسانية قبرها**، ترجمة عزة صبحي، (د3؛القاهرة :دار الشروق ،2002) ص11.

(22) محمد حسن الأبياري، **المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكومات العالمية** ، (دط؛ مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978)، ص ص 27،28
.
(23) الكتاب المقدس، **الإصحاح الرابع**، رسائل القديس بولس، الآية رقم 05
(24) الكتاب المقدس، **الإصحاح الأول**، الآية رقم 10.
(25) الكتاب المقدس، **سفر المزامير**، المزمور رقم 117.
(26) نقلا عن محمد حسن الأبياري ، **المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكومات العالمية** ، مرجع سابق ذكره، ص28.
(27) نقلا عن المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(28) قرآن كريم **سورة الحجرات** الآية 13.
(29)علي عبد الحليم محمود، **عالمية الدعوة الإسلامية**، (ط2؛ السعودية: مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، 1984)، ص 125.
(30) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(31) قرآن كريم **سورة الروم** آية 21.
(32) محمد عمارة، **الغزو الفكري وهم أم حقيقة**، (د ط؛ بيروت: دار الشروق للطباعة والنشر، 1989)، ص 264.
(33) قرآن كريم، **سورة سبأ**، الآية 28
(34) فتح التريكي، **العقل والحرية** ، (ط1؛ تونس: تبر الزمان، 1998)، ص 12.
(35) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
(36) عبد الواحد وافي، **المدينة الفاضلة للفارابي**، (ط1؛ القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د س)، ص 119.
(37) المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
(38) عثمان أمين، **الفلسفة الرواقية**، (ط2 ؛ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، 1959)، ص45.
(39) المرجع نفسه، ص222.
(40)المرجع نفسه، ص232.
(41)المنصف وناس، (**مضامين العولمة الاتصالية والثقافية**) ، **مجلة الإذاعات العربية** العدد 02؛ تونس: إصدار إتحاد الإذاعات العربية، 1998، ص 13.
(42) محمد حافظ ذياب، (**تعريب العولمة مسالة نقدية**)، **مجلة قضايا فكرية** ، العدد 19، 20؛ القاهرة: د ب، أكتوبر 1999، ص 143.

/دليل أهم المصطلحات الواردة في البحث

*العالميـــــــة:

لعل أول من فكر في الوحدة العالمية بمفهومها الشامل والواسع هم الرواقيون من الفلاسفة القدامى، حيث أنهم نظروا إلى العالم نظرة شاملة عميقة، بمعزل عن أي عامل من عوامل التشتت والتفرقة والتمييز، فهم يرون أن الله أب لجميع الناس، والبشر كلهم إخوة ولا يجب أن نقول هذا أثيني وذاك روماني، بل يجب علينا أن نقول بأننا مواطنين في هذا العالم .

نقلا عن عثمان أمين، **الفلسفة الرواقية**، (ط2 ؛ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1959)، ص45.

**الإديولوجيا(Idéologie):

أو الأدلوجة كلمة ابتكرها الفرنسي **"دستوت دوتراسي" (Destutt De Tracy)** أول من أستخدم هذه الكلمة عام 1801 في كتابه مشروع المبادئ الأديولوجية، وهو علم موضوعه دراسة الأفكار ومزاياها، وقوانينها وعلاقتها مع العلامات التي تمثلها وبالأخص أصلها، فكر نظري يعتقد أنه يتطور تطورا تجريديا في غمار معطياته الخاصة، ولكنه في الواقع تعبير عن وقائع اجتماعية، ولاسيما عن وقائع اقتصادية.

كميل الحاج، **الموسوعة المسيرة في الفكر الفلسفي والإجتماعي**، مرجع سابق، ص 81.

***/**العولمـــة (Globalization)**؛ تعميم كوني لنموذج يقدم على أنه الوحيد العقلاني الممكن والأفضل والأمثل، والعولمة نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع }

نقلا عن سعود المولى،(**تجاوز الحداثة**) **مجلة الملتقى** ،(دب) ، العدد2001،03،ص12

****/**يوتوبيا(Utopia):كلمة يونانية معناها لا مكان ثم أصبحت وصفا لاي كتاب يقدم تصورا لدولة مثلى تحقق السعادة للناس ، وتطلق على الفردوس المفقود أو عالم المثل ،أنظر روجي غارودي، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة،ص119.**